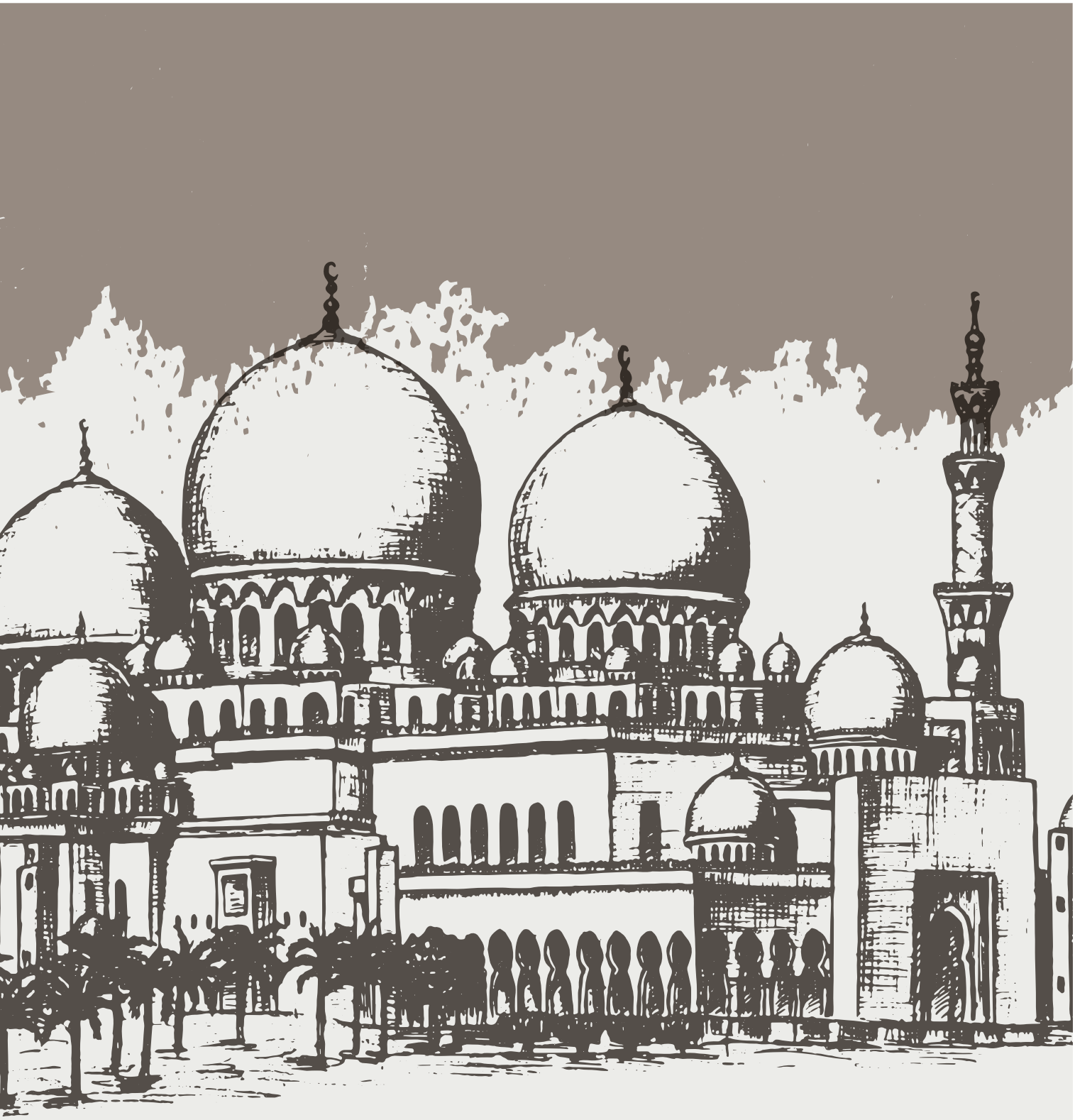

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

١ «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ؛ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[٢٧٢].

(٢٧٢) رواه البخاريُّ (٢٤٩٣).

آيات

- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].
- ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].
- ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].
- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

الراوي

هو: النُّعمانُ بنُ بَشيرِ بنِ سعدِ بنِ ثَعْلبةَ الأنصاريُّ، الأمير، العالم، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، من صِغار الصحابة، وكان من أمراء معاوية ﷺ، ولَّاه الكوفة مدَّةً، ثم وَلِيَ قضاء دِمَشقَ بعد فَضالةَ، ثم وَلِيَ إمْرةَ حِمْص، أخرج حديثَه الأئمةُ الستةُ، وحديثُه قليلٌ، تُوفِّي سنةَ (٦٤هـ)[١].

خلاصة

إذا أُقيمت الحدودُ والأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر، حصلت النجاةُ لجميع النَّاس، وإلا هلك الكلُّ؛ العاصي بمعصيته، والساكتُ بترك نهيه عن المنكر وأمره بالمعروف.

(١) تُراجع ترجمته في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٥٣)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٤٩٦)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ٥٥٠).

يضرب النبيُّ ﷺ المَثَلَ لبيان أهمية الدعوةِ إلى اللهِ تعالى والنُّصحِ له، وأنَّه لولا إنكارُ المنكرِ لهلك جميعُ النَّاس، فيُصَوِّرُ **المطيعَ الحافظَ لحدودِ اللهِ تعالى الممتثلَ لأمره ونهيه**، والعاصي المُضَيِّعَ لأحكام الشرع الواقعَ في شهواته وملذَّاته، بقوم نزلوا سفينةً في ماءٍ عَذْبٍ، فصنعوا قُرعةً فيمن يكون في أعلى السفينة ومَن يكون في أسفلها، فتمَّ ذلك ونزل كلٌّ في مكانِه.

فكان الذين في الأسفل إذا **أرادوا أن يشربوا أو يأتوا بالماءِ لأغراضهم** صعدوا إلى أعلى السفينة فجلبوا الماء ثم نزلوا، فاقترحوا أن يخرقوا في أسفل السفينة - وهو نصيبهم - خرقًا يجلبون به الماء، بدلًا من الصعود والنزول، فبذلك يرتاحون ولا يؤذون جيرانهم الذين في الأعلى. فإن تركهم أصحاب العُلُوِّ يفعلون ما يحلو لهم بزعم أنَّ ذلك نصيبهم يصنعون به ما يشاؤون، هلك الجميعُ؛ إذ الخرقُ في السفينة يُغرقها ولا شك، وإن منعوهم من ذلك نجوا جميعًا.

فكذلك المؤمنون والعصاة؛ إن تركوا العصاةَ ومعاصيهم من غيرِ إنكارٍ عليهم استحقَّ الجميعُ عقابَ اللهِ تعالى؛ العُصاة بمعصيتهم، وغيرُهم بالسكوت عليهم وعدم الإنكار، كما قال ﷺ: «إنَّ النَّاس إذا رَأَوُا المنكَر فلم يغيِّروه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقابٍ منه»(٢٧٣). وقد لَعَنَ اللهُ بني إسرائيل حين تركوا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٨، ٧٩].

(٢٧٣) رواه أحمد (١)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذيُّ (٣٠٥٧).

١ ضَربُ الأمثال من الأساليب الفاعلة في الدعوة إلى الله تعالى، وتعليم العلم، ومِن ثَمَّ ينبغي للمعلِّم والمربِّي أن يقرِّب المعانيَ المعقولةَ لأذهان الناس بضرب الأمثال المحسوسة القريبة إلى أفهامهم(٢٧٤).

٢ المؤمنُ الحقُّ لا يَكتفي بإصلاح نفْسه فحسبُ؛ بل يَحمل همَّ المجتمع من حوله، ويعمل على بيان الأخطار التي تهدِّدهم في دينهم ودنياهم.

٣ تَرْك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في حلول الدمار، ووقوع الهلاك على المجتمع بأسره؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

٤ إياك أن تظنَّ أنَّ امتناعك عن المعاصي يكفيك في دفع عذابِ اللهِ تعالى؛ بل يجب عليك الإنكارُ ما استطعتَ.

٥ لا يصدنَّك عن الإنكارِ علمُك أنَّ الذي تُنكِرُ عليه لن يستمعَ لك؛ فما عليك إلا النصح، واللهُ يهدي من يشاء.

٦ لا يجوز لمسلم أن يرى أمرًا منكرًا من المنكرات وهو قادرٌ على تغييرها من غير أن يُغَيِّرها، وقد قال سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

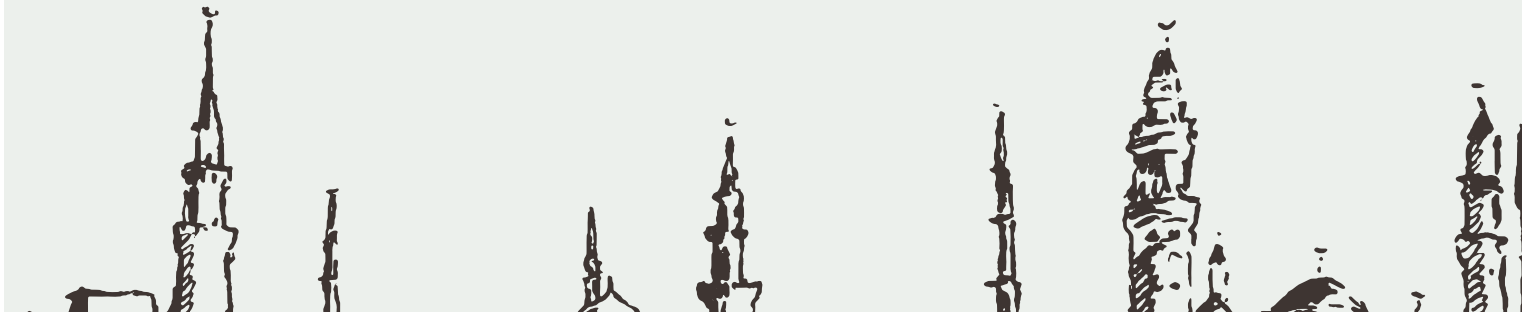

(٢٧٤) انظر: «شرح رياض الصالحين» لابن عُثيمين (٢/ ٤٣٣).